مناقشة رأي في علامة التأنيث

بقلم : محمد شيت صالح الحياوي

في مجلة (المورد) الشامخة ــ المجلد التاسع ، العدد الأول ــ مقال جليل جاء بالعنوان الآتي : ــ

ــ ديوان الادب لاسحاق بن ابرهيم الفارابي ــ الجزء الأول ، تحقيق د. احمد مختار عمر ، القاهرة ٧٤

ــ بقلم الدكتور ابراهيم السامرائي ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ــ

والحقيقة أن كاتب المقال قدحالفه التوفيق،واجاد في نقده وتعليقه ايما اجادة ؛ ولا عجب فهو بحاثة مشهور ومحقق بارع، ضرب بسهم وافر في مجالي الادب واللغة فيما قَدَّم من بحوث ، وما انتج من مؤلفات تشهدبطول باعه وسعة اطلاعه . ومع ذلك فالكمال لله ، ولن ينجو كاتب من زلل ، ولا سيما في معرض الاجتهاد ؛ وهذا ما حصل في المقال آنف الذكر ــ برايي الذي قد اكون مصيبا فيه وقد اكون مخطئا ، والقول الفصل أولا وآخرا للعلم والتفكير السليم ــ

يقول الكاتب ص ٤١٦ ما نصه:(وعندي أن علامة التأنيث واحدة في العربية، هي هاء التأنيث ،كما في (حجرة وفاطمة) التي تتحول تاء في درج الكلام . واذا عرفنا أن علامة التأنيث هذه ، اي الهاء ، تقتضي أن يكون قبلهافتح ، وعلى هذا يكون الفتح العلامة الأصيلة للتأنيث ، وهي نفسها

الف التانيث المقصورة في (ليلى وسلمى) وهي نفسها الالف الممدودة في (صحراء وحسناء) ؛ وما الفتح القصير كالفتحة ، والفتح المتوسط كالالف المقصورة ، والفتح الطويل كالالف الممدودة ، الا صوت واحد يختلف في نسحة طوله).ويقول ايضا في الحاشية (وهذا الفتح هو علامة التانيث ، ولان الفتحة لا ترسم في الخط العربي ، ذيّلت الكلمة بهاء لتقرأ مفتوحة الآخر قبل الهاء ، ثم رسم الفتح فكان الالف المقصورة والالف الممدودة . ولو عرفت ان (ليلة وليلى وليلاء)مادة واحدة ، أدركت أن علامة التانيث واحدة فيها جميعا ، وهي الفتح بصورة الثلاثة) .

نفحوى اجتهاده ما هو آت : ـ

أولا ـ علامة التانيث واحدةفي العربية هي هاء التانيث ، كما في (حجرة وفاطمة) التي تتحول تاء في درج الكلام .

ثانيا ـ هاء التانيث لا تأتي الا بعد حرف مفتوح .

ثالثا ـ الفتح هو العلامة الأصيلة للتانيث .

رابعا ـ الفتحة لا ترسم في الخط العربي ، ولذلك ذُيّلت الكلمة بهاء ليقرأ ما قبلها مفتوحا .

خامسا ـ حينما رسم الفتح استغنى عن الهاء،وتطورت الفتحة واستطالت فصارت الفا مقصورة،كما في (ليلى وسلمى) ثم الفا ممدودة كما في (صحراء وحسناء) .

سادسا ـ بما أن فتحة الحرف الثالث مشتركة في الكلمات الثلاث (ليلة ، ليلى ، ليلاء) وهن مادة واحدة ، لذلك فالفتحة وحدها هي علامة التانيث لا غيرها .

لذلك كله نرجو أن يسمح لنا بمناقشة اقواله وآرائه،عسى ان نتوصل

الى نتيجة حاسمة .

أولا ــ سمى التاء المربوطة هاء التانيث ، لاننا حين نقف عليها نلفظها هاء . وفاته أن الأصل هو الدرج لا الوقف ، كما أن من العرب من يقف عليها ويلفظها تاء. فهي تاء أقوى من هاء ، والتسمية للأقوى ، وشتان بين المَخْرَجَين ؛ فالهاء حلقية والتاء نطقية .

ثانيا ــ لا يُشْتَرَط أن يكون ما قبل التاء المربوطة حرفا مفتوحا، فقد يكون ألفا ، والالف لا يكون الا ساكنا ، مثل (فتاة وقضاة) .

ثالثا ــ ذكر أن الفتح هو العلامة الأصلية للتأنيث ، كما ذكر أن الهاء وحدها هي علامة التأنيث . أفلا يتناقض القولان ؟ أم يريد أن يقول: ان للتأنيث علامتين اثنتين واحدة أساسية هي الفتحة،والأخرى فرعية هي الهاء . فلم يحسن التوضيح !

رابعا ــ التاء كما سميناها،أو الهاء كما سماها،زائدة على رأيه،جيء بها لاظهار الفتح الذي قبلها لأنه غير مرسوم،وليس لها غرض آخر أو فائدة أخرى.وهو راي ضعيف على ما أظن لا يتناسب مع دقة ملاحظات الكاتب فيمايحلل ويدقق ؛ فقد شرح اللغويون هذه التاء وبيّنوا اغراضها المختلفة في مواضعهاالمتعددة ؛ ولا حاجة لتسطير ما وضحوا وبيان ما قرروا .

واني ــ بتواضع ــ اجازف ولا اسمي التاء المربوطة هاء كما سماها فحسب،بل لا اعتبرها علامة تأنيث ! . فبعد أن فحصتُ مواضعها وحلّلتُ اغراضها،تبيّن لي أنها تعطي معنى واحدا يشترك فيه جميع الأمثلة المختومة بها ، وهذا المعنى المشترك هو ما نسميه (الوحدة !).

ومعنى الوحدة هو الذي يجعلنا نعامل الكلمة معاملة المؤنث،سواء أكان مجازيا أم حقيقيا أو مذكرا أو جمعا كماسنرى . والوحدة جزيئة أو

نسخة او مجموعة قد تمثل عددا رقمه واحد،كما قد تمثل عددا يزيد على اثنين . وهاكم أمثلتها مع الشرح : ــ

شَرْبَة : وحَدة من الشرب

شِرْبَة : وحدة لهيئة الشرب

تمرة : وحدة من ثمر التمر

صخرة : وحدة من جماد الصخر

بطّة : وحدة من الطير المسمى بَطّاً

طلحة : وحدة من شجر الطلح

فارة : وحدة من الفئران ، أما الفار فليس بوحدة بل فردا من الفئران، وهكذا جاء تانيث فارة من الوحدة لا من الفار،الذي بدوره جاء تذكيره من الجمع ايضا !

حليمة : وحدة من الحلم،متصفة به ؛ أما حليم فليس بوحدة بل فردا من الحلم متصفاً به .

رحالة : وحدة من الرحل متصفة به قوية .

قضاة : وحدة (مجموعة) من معنى القضاء .

عباقرة ، عبادلة ، مغاربة : وحدة (مجموعة) من العبقرية،وعبد الله، واهل المغرب على التوالي .

حُجرة : وحدة من معنى الحَجْر (بفتح الحاء وسكون الجيم)

تذكرة : وحدة من معنى التذكير

خِبرة : وحدة من معنى الخبر .

نُسخة : وحدة من معنى النسخ .

مسابقة : وحدة من معنى السباق .

هِبة : وحدة من معنى الوهب .

بِنية : وحدة من معنى البناء او البنيان .

اعانة : وحدة من المعنى المستفاد من أعان ـــ يعين .

استقامة : وحدة من المعنى المستفاد من استقام ـــ يستقيم . فاذا اردناها لمرة واحدة،اي ليس وحدة او نسخة مكررة،قلنا استقامة واحدة !

لغة : وحدة من معنى اللغو . . . الخ التاءات المربوطات .

ونستفيد من هذه الأمثلة ما يأتي : ـــ

ا ـــ لو كانت الكلمة المختومة بالتاء المربوطة مؤنثة،وكانت التاء علامة التأنيث،لجاز حذف التاء وتحولت الكلمة الى مذكر.وهذا لم يحصل الا مصادفة في فأرة ـــ فأر ، فتاة ـــ فتى ، كلبة ـــ كلب وأمثالها،وقد شرحنا ذلك .

ب ـــ لو كانت مؤنثة لما نُقل معناها الى مذكر،مثل طلحة حمزة معاوية . . . الخ

ج ـــ لو كانت مؤنثة لما دلت على جمع مذكر مثل قضاة عباقرة . . . الخ

فالمؤنث إذاً ما دلّ على التأنيث في الوضع والمعنى المعجمي،أو في الصيغة،سواءأكان مختوما بالتاء او بالألف او لم يكن مختوما بهما .

خامسا ـــ اما الالف المقصورة والالف الممدودة فليستا وحدهما علامتي تأنيث،لان التأنيث سواء أكان حقيقيا أم اعتباريا مفهوم بالصيغة،ففي سلمى وعطشى وفضلى جاء التأنيث من وزني فَعْلى وفُعْلى بفتح الحرف الاول او ضمه وسكون ثانيهما ووقوع الالف في رابعهما .

وفي صحراء وحسناء وحمراء جاء التأنيث من وزن فَعْلاء بفتح فسكون

مع الالف والهمزة وفي كلا النوعين نجدالفتحة قبل الالف كما نجدها قبله حيثما جاء . ولو حذفنا الالف،او الالف والهمزة،لم يكن لما تبقّى من الكلمة اي معنى ؛ ولذلك فالالف ليست وحدها علامة تأنيث لانها امتداد للفتحة ذو صيغة لا علاقة لها بصيغة المؤنث؛مثل افضل مذكر فُضلى واحمر مذكر حمراء .

ومن الظريف أن كلمة عطشى،مثلا،التي زعم الكاتب أن الفهاء دال على انوثتها،اذا أضيفت اليها نون فصارت (عطشان) تحولت الى مذكر؛ فكيف صارت الكلمة الجديدة مذكرا مع أن علامة التأنيث (الالف) على زعمه باقية ايضا ؟!

سادسا ــ بقي اشتراك الكلمات الثلاث (ليلة ليلى ليلاء) في المادة وفي فتحة الحرف الثالث ــ وقد تكلمنا عن الفتحة ما فيه الكفاية ــ . اما المادة فلو كانت علامة التأنيث واحدة في الكلمات الثلاث وهي الفتحة ــ على رايه ــ لكان المعنى واحدا لا ثلاثة معان .

فليلة ليست مؤنث ليل،لأن الليل نفسه جنسان:تارة يكون مذكرا وتارة يكون مؤنثا،ولذلك لا يحتاج الى مؤنث.بل معنى (ليلة) المختومة بالتاء وحدة من وحدات (الليل) كما مثّلنا وشرحنا .

واما ليلى ، وهي كوكب الزهرة عند العوام،لا الخمر ، فمعناها ــ على ما اتصور ــ ذات الليل او ربة الليل،لانها اشد الكواكب السيارة ضياء.

واما ليلاء من الليالي فهي الفريدة اوالمتميزة في امر ما كالطول او الظلام او غيرهما .

وبعد فاني ارى التاء المبسوطة الزائدة التي تاتي مع الفعل او الاسم

هي علامة تانيث، كما في: ذهبت، ورجعت، والتلميذة تذهب وترجع، وكما في التلميذات مهذبات؛ حيث التاء تدل على التانيث، والالف يدل على الجمع، ولا يمكن فصلهما ولا بد أن يأتيا مجتمعين .

قضية اخيرة انكرها لعلي اكون مصيبا فيها وهي على عكس ما ارتاى الكاتب ، فان كانت الفتحة عنده علامة تانيث — وقد فَنَّدنا رأيه — فان الكسرة عندي قد تكون من علامات التانيث؛ والدليل ورودها في كثير من مواضع التانيث مثل: انتِ، ذهبتِ، تذهبين، لن تذهبي، عندكِ، كتابكِ، هذي، هذه، ذه، هاته، ته، تلك، التي، اللاتي، حذامِ، قطامِ، يا لكاعِ، ويا خباثِ . عالماتٍ كاتباتٍ (في حالتي الجر والنصب) ... الخ .

خلاصة بحثنا كما يلي : —

(١) التاء المربوطة لا الهاء تاتي لاغراض مختلفة، وتتفق معانيها جميعا في معنى واحد مشترك هو (الوحدة) فهي علامة على الوحدة اصلا لا على التانيث .

(٢) الالف المقصورة والالف الممدودة اذا وجدت احداهما في كلمة، وكانت تلك الكلمة مؤنثة، كان التانيث بالصيغة والوضع وليس بوجود الالف .

(٣) علامة التانيث هي التاء المبسوطة الزائدة مع الفعل أو الاسم .

(٤) قد تكون الكسرة علامة تانيث .

محمد شيت صالح الحياوي